المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز البحوث التربوية والنفسية
مكة المكرمة



سلسلة البحوث التربوية والنفسية



٤٠٠٠٠٠٢

الأتجاه العقلاني وآلية التخطيط التربوي والبحث العلمي

دراسة نقدية تحليلية

تأليف
د / جويبر الثبيتي

١٤١٦ هـ

ⓒ جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الثبيتي ، جويبر ماطر

الإتجاه العقلاني وآلية التخطيط التربوي والبحث العلمي ـ مكة المكرمة .

٣٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم (إصدارات مركز البحوث التربوية والنفسية)

ردمك ٩ ـ ٩٨ ـ ٣ ـ ٠ ـ ٩٩٦٠

ردمد ١٣١٩ ـ ٣٧٤٠

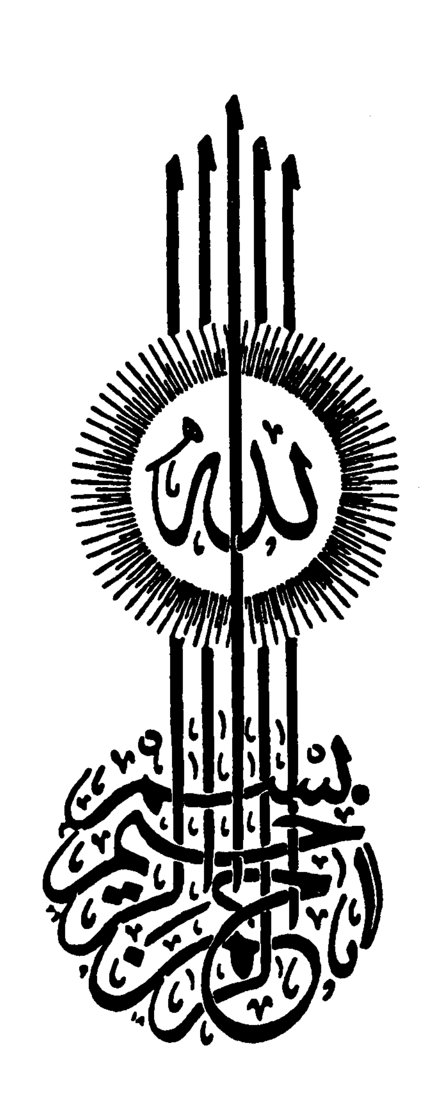
١ ـ التخطيط التربوي ٢ ـ البحث العلمي أ ـ العنوان

ديوي ٣٧٨,١٠٧ ١٦ / ٢٥٣٣

رقم الإيداع : ٢٥٣٣ / ١٦

ردمك ٩ ـ ٩٨ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

ردمد : ١٣١٩ ـ ٣٧٤٠


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

لقد كان الهدف من هذه الدراسة إبراز سمات العقلانية المفرطة والآلية المنهجية المستخدمة في التخطيط للتعليم . وقد أستخدم المنهج التحليلي النقدي لإبراز قضية البحث وكان من أهم نتائج هذه الدراسة :

١ ـ أن الدراسات التربوية المعاصرة المستخدمة في التخطيط للتعليم تتسم بالشكلية والنظرة المقننة للواقع مما أدى إلى حدوث فجوة بين التخطيط التربوي والممارسات التربوية .

٢ ـ أن التخطيط التربوي يرتكز على إستراتيجية حل المشكلات .

٣ ـ أن آلية التخطيط قد تؤدي إلى البعد عن القيم الإنسانية السامية .

وكنتيجة لما سبق يوصى في هذه الدراسة باستخدام مناهج بحث وأساليب تخطيط أكثر شمولا وأكثر إهتماما بالقيم والمثل والأهداف المثالية .

تمهيد :

أن الدول النامية عندما تقيم وضعها العام والوضع التربوي على وجه الخصوص تشعر ببون الفجوة بينهما . وقد بحث المفكرون بحماس مسببات التطور البطيء في الدول النامية وأنتهوا إلى حقيقة أنّ التخلف الذي يسيطر على بعض الدول النامية يعود إلى عدة أسباب منها الأقتصادي ومنها السياسي ومنها تقنية البحث وأساليب التفكير ونماذج التخطيط .

ولكن بعض المفكرين أرادوا تجاوز نطاق الضوء الديمغرافي ، والبيئي للإنسان في الدول النامية إلى البحث في دائرة الضوء الثقافي وتعتقد هذه الفئة أنها قد وصلت إلى جوهر المشكلة وجذورها عندما حاولت أن تعزو مشكلات الدول النامية إلى طبيعة العقل . فظهرت عدة نداءات وعدة أيديولوجيات تؤكد على أنّ الدول النامية تنقصها العقلانية في البحث والتخطيط . وهذا التصور يحمل في طيّاته بذور الدعوة إلى العقلنة التي أصبحت السمة الغالبة الغربية . ويتصور مؤيدو العقلنة أنّ الدول النامية تحتاج إلى العقلانية في البحث والتصور . والحقيقة هي أن الدول النامية مصابة بالعقلنة المفرطة .

فالشكلية في البحوث والدراسات التربوية وغلبة أثر الجانب التقني كالإحصاء والتصاميم الشكلية للدراسات هو حقيقة المشكلة التي تواجهها العقول في مجال البحث التربوي . فالإفراط في العقلنة والذي يتلخص في اضفاء الصّفة التقنية على البحوث هو المشكلة في الدول النّامية التي إستوردت تقنية البحث وطبقتها على الواقع الذي تعيشه نظمها التربوي وجعلته منطلقاً لخططها التربوية .

والبحث الحالي يتناول توضيح مشكلات العقلنة في البحث التربوي وعلاقتها بفشل التخطيط .

والعقلنة كما يتناولها البحث الحالي عبارة عن صورة من صور العقلانية المفرطة التي تطغي فيها الآلية البحثية والشكلية العقلانية على صيغة وطريقة تناول مشكلات التخطيط ، حيث أصبحت الاستنتاجات البحثية تمر بإجراءات وتقنيات بحثية أشبه بمكنات التصنيع حتى أصبحت هذه التقنية البحثية هي المتحكم في النتائج وتعتبر خطوات إجراء البحث وما يستخدم فيه من اساليب إحصائية وإجراءات شكلية صورة من صور العقلنة المفرطة .

موضوع البحث :

أن كثيراً من الأفكار والممارسات التربوية تقودها آراء الباحثين والمخططين المستنبطة من التصور المجرد والتحليل الإحصائي في إطار التصور المجرد للظواهر التربوية . فالمخططون التربويون أصبحوا ينظرون إلى الظواهر التربوية نظرة عقلانية مفرطة بلغت حد إضفاء صورة الميكانيكية على البحوث التربوية وإجراءتها ، فالبحث يمر بعدة خطوات شكلية أكثر منها منطقية وتشمل هذه الخطوات تحديد المشكلة وتحديد متغيراتها يلي ذلك جمع المعلومات ، ثم تمريرها عبر آلية التحليل الإحصائي الذي يفرض على الباحث التعامل مع ما ينتج من نتائج بغض النظر عن منطقية النتائج ، والبحوث التربوية غالباً ما تستخدم كمنطلقات للخطط التربوية . وقد نتج عن ما سبق نوع من الفشل في الخطط التربوية .

هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة للإجابة على السؤال الملح وهو لماذا لا تصلح البحوث التربوية المفرطة في العقلانية للتخطيط للتربية ؟

فهذا السؤال أصبح سؤال الساعة رغم أن الاجابة عليه قديمة ، ومعروفة منذ أن أكد ابن خلدون (المقدمة : ١٣٩٨ هـ) على أن أفكار العلماء بخلاف أفكار

الساسة غير قابلة للتطبيق ، وقد أكد هذا التصور بعض علماء الغرب مثل وايز Wise (١٩٧٧ م) وتشرجمان Churchman (١٩٧٩ م) حيث قالوا بفشل أفكار الباحثين في التخطيط عامة وفي التخطيط للتربية خاصة .

تعريف بعض المصطلحات الجديدة :

١ ـ العقلنة :

يقصد بالعقلنة في هذه الدراسة طغيان الشكلية والآلية في البحوث على تصور المخطط والباحث التربوي وذلك بإعطاء أهمية كبيرة للإجراءات البحثية والتحليلة الاحصائية .

٢ ـ الميكانيكية :

إن الميكانيكية في التصور إعتقاد الباحث أن الظاهرة عبارة عن مجموعة من العناصر والمتغيرات التي تؤثر في بعضها تأثيرا شبه آلي دون أن يكون هنالك تفاعل بين عناصر الظاهرة .

آلية البحث :

هي اتباع إجراءات بحثية مقننية ومصممة مسبقاً لتحويل البحث من معلومات أولية إلى نتائج احصائية .

العلاقة بين البحث التربوي والتخطيط :

إنّ البحث التربوي يعتبر ركيزة قوية ومنطلقاً أساسياً لوضع الخطط التربوية وخاصة آذا كانت البحوث التربوية ذات اهتمام بالمستقبل ، فالبحوث المستقبلية كما ذكر ذلك العاصي وزميلتها (١٩٨٨ : ٤٠٩) أصبحت ذات أهمية عظيمة في التخطيط وتحديث المجتمع كما أصبحت البحوث التربوية من أهم محددات وضع الإستراتيجية التعليمية .

فالعلاقة بين البحث التربوي والتخطيط التربوي علاقة قوية بلغت درجة الإعتقاد أنّ الباحث التربوي مـا هـو إلاّ مخططاً تربوياً (وايز Wise ١٩٨٣ ، ومنتزبرج Mintzberg ١٩٨٣ ، وشرجمان Churchman ١٩٧٩) ، فالبحث التربوي والتخطيط التربوي يتفقان في عدة خصائص كما يستنبط من الدراسات في مجال البحث التربوي والتخطيط كما سنرى :

١ ـ فالباحث التربوي والمخطط التربوي يتصفان بنمطية عقلية تحليلية .

٢ ـ البحث التربوي والتخطيط التربوي عبارة عن دراسة للواقع ووضع خطط للمستقبل .

٣ ـ البحث التربوي والتخطيط التربوي يسبقان عملية التنفيذ ويعتمد كل منهما على الآخر .

٤ ـ أن كل باحث تربوي يعتبر مخططاً تربوياً .

٥ ـ أن الباحث التربوي والمخطط التربوي يعتمدان على تقنيات وإجراءات بحثية متشابهة إبتداءً من تحديد المشكلات وتحليلها وإنتهاء بطرح الحلول والتوصيات .

وسيتضح لنا من الدراسة الحالية أن هنالك مشكلات تواجه المخطط التربوي فيما يتعلق بصلاحية البحوث التربوية للتخطيط ، ومن ابرز هذه المشكلات :

١ ـ البعد بين المخطط التربوي والواقع التربوي .

٢ ـ النظرة المقننة للمستقبل .

٣ ـ الإنطلاق من المشكلات كأسس لتحديد الحلول .

٤ ـ التصور الدرامي لتحديد الأسباب والحلول .

٥ ـ صعوبة تنفيذ مرئيات الباحثين التربويين .

٦ ـ الإعتقاد بأنّ العلاقة بين عناصر أي قضية تربوية علاقة ميكانيكية شبيهة بتلك التي تربط بين جزئيات الآلة ومكوناتها .

البعد بين المخطط التربوي والواقع التربوي :

إنّ البحوث التربوية تعتبر مرآة العقل المخطط كما تعتبر ـ في نفس الوقت ـ العين التي ترى من خلالها الحقيقة . والحقيقة التي ينبغي على المخططين التربويين الإعتراف بها هي أنهم مازالوا ينظرون إلى الواقع التربوي عن بعد . فالمخططون التربويون من حيث الموقع الوظيفي ومنهج التصور والرؤية بعيدون عن الواقع التربوي والممارسات العقلية في التربية . والمخططون التربويون وصانعوا القرارات التربوية بعيدون عن الواقع التربوي والممارسات العقلية للتربية بعداً جغرافياً أيضاً (هال Hall وسوزان Susan ١٩٨٢م ، ٢٣٤) .

وكثيرٌ من صانعي القرارات في التربية ليس لديهم خبرة فعلية عن الممارسات داخل المدارس ، وسلطتهم على جوهر العملية التربوية محدودة التأثير مقارنة بمديري المدارس (هال Hall سوزان Susan ١٩٨٢ م) ، وقد حاول المخططون التربويون الحد من تأثير العوامل السابقة عن طريق ما يبذلونه من جهود في عقلنة الممارسات التربوية ، ولكن التصور العقلاني للمخططين التربويين هو الآخر بعيدٌ كلياً عن الواقع التربوي ومعظم الخطط التربوية لايمكن وصفها ـ حسب التصور السابق ـ إلا على أنها تدريبات ورقية (هال Hall وسوزان Susan ، ١٩٨٢م ، ص ١٣٤) ونماذج لخرائط التصور المجرد . يضاف إلى المؤشرات السابقة وجود إختلاف بين العقل المخطط والعقل المنفذ من حيث النمط (منتزه برج Mintzberg) فالعقل المخطط عقل تحليلي يعتمد على التقنية الإحصائية والإجرائية بينما العقل المنفذ عقلي حدسي يعتمد على الخبرة والتجربة .

فإذا نحن نظرنا إلى العقل المخطط من زاوية خصائصه العقلية فاننا نجد أنّ المخططين التربويين يصنفون في إطار ثقافة العصر - في اطار العقول المحللة (توفلر Toffler ١٩٨١م) .

ويعتبر أكثر الباحثين والمخططين كما يرى ذلك توفلر Toffler [١٩٨١] مهرة في التحليل أكثر منهم مهرة في التركيب . فالبحث والتخطيط ينطبق عليهما صفة العقل التحليلي الذي يعتمد على مجموعة من الخطوات والقواعد عند النظر إلى المشكلات وعند تحديد الحلول [جولد برج Goldberg ١٩٨٣م ، ص ٣٣] .

والمخططون التربويون يمكننا تصورهم في إطار معادلة منتز برج Mintzberg [١٩٧٧ م] على أنّهم ينظرون إلى الواقع من الجانب الأيسر للعقل . وتصور منتزبرج رغم ما فيه من المجازية ، إلا أنه يعتبر صادقاً للأسباب الآتية :

١ - أن العقلية المخططة عقلية تخيلّية أكثر من كونها واقعية .

٢ - أن العقلية المخططة تنظر إلى جزئيات الواقع وليس الواقع ككل .

وما يمكن تصوره من نتائج مترتبة على الإعتماد على العقل التخطيطي ذي الطابع التحليلي هو أن تصورنا عن المستقبل كما يقول توفلر ToffleT [١٩٨١ م] :

« يبدو مشتتا ضبابياً ، وغير صحيح .. ولا يعدو كونه تصوراً فنياً وليس علمياً » . ص ١٢٩ .

والنتائج السلبية التي إرتبطت ببعد العقل المخطط عن واقع التربية كثيرة منها كما يرى هال Hall ولوكس Luks [١٩٨٢م] .

١ - أنّ الإتصال بين صانعي القرارات والممارسين يطغى عليه الغموض .

٢ - أن ما يمارس بالفعل ليس هو حقيقة مايتصوره المخططون وليس نتيجة له.

وللبعد بين المخطط التربوي ، والواقع التربوي أثره على عقلية المخطط التربوي نفسه . فوايز Wise [١٩٧٧م] يرى أن معظم أفكار المخططين لاتعدو كونها أماني .

والحقيقة أنّ الأمنية في الفكر والفكر في الأمنية ليست إلاّ آمال . هذه الآمال قد تتحول إلى معتقدات مع زيادة التاكيد عليها [كوهن Cohen وروسنبرج Rosenberg ١٩٧٧م] . ومن خلال هذه المعتقدات ، بل ومن خلال القيم والإنطباعات المرتبطة بهذه المعتقدات تتكون نظرتنا إلى التربية والعلاقات الرابطة بين المتغيرات التربوية كالمدرس ، والمنهج ، والخلفية الإقتصادية للتلميذ ، ومستوى الذكاء وطرق التدريس .

وإذا كان الباحثون التربويون في الغرب قد أدركوا حجم الفجوة بين البحوث التربوية والتخطيط التربوي من ناحية وبين الواقع التربوي في الغرب من ناحية ثانية ، فأن من البديهي أن يكون حجم هذا البعد أكبر في العالم العربي خاصة وأنه يعتمد على الدراسات الغربية في تصوير وتصور الواقع التربوي في العالم العربي .

فتصور المخططين الغربيين إذا كان بعيداً عن واقع التربية في الغرب فإن إستخدام هذا التصور من قبل المخططين العرب سيزيد من البعد بين تصور المخطط العربي والواقع التربوي في العالم العربي .

فلو استعرضنا الكثير من البحوث التربويـــة ـ كما يقول شكري عباس [داود ، ١٩٧٨م : ص ١٩] لوجدنا أن الطابع المهيمن عليها هو تبني الفكر الأجنبي ، وعلى وجه الخصوص الفكر الغربي .

والفكر الغربي كما لاحظنا فيما سبق تتميز نظرته للواقع التربوي بالبعد والدرامية ، والتشتت والضبابية والعقلانية غير الواقعية . وهذه الخصائص إذا

طبقت على الواقع العربي ، فإن النتيجة أنّ العقل التربوي المخطط سيتحول إلى عقل درامي غير واقعي تتزايد معه الفجوة بين المخططين والقائمين على التربية بل وبين المخططين وأنفسهم .

فالفجوة بين الفكر والمفكرين ، بين الشخص وفكرته ، وبين صانعي القرارات والمفكرين وبين النظرية والممارسة أمر ملحوظ [فرحان ١٩٨٦ م ، ص ١٥] .

والأفكار الناتجة عــن العقلية التحليلية أفكار غيـــر تطبيقية . والسبب كما يرى بيترز Peters وواترمان Watcrman [١٩٨٢م ، ص٤٧] : أنّ العقل التحليلي التقليدي لايقود إلى التنفيذ وإنّما يجعل الأفعال حبيسة التصور التخيلي .

والسبب الآخر في عدم قابلية العقل التحليلي ، والمنطق العقلي للتطبيق هو أن أفكار المحللين بمن فيهم المخططين أفكار مجردة مفصومة عن الواقع وهذه الأفكار كما يرى ذلك بيتر Peter ووترمان Waterman (١٩٨٢م ، ص ٤٨) تمثل مظهراً خادعاً لاينتج عنه رؤية تلعب دور الجسر بين الواقع والمستقبل ، مما يجعل هذه الأفكار عبارة عن بدايات مفصومة عن النّهايات أو نهايات مفصومة عن البدايات . فالنتائج لايمكن ربطها بالأسباب ولا الأسباب يمكن ربطها بالنتائج.

الرؤية المقننة للمستقبل :

إن كثيراً من المخططين التربويين يعتقدون أنّهم يرون المستقبل حقيقة ويمكنهم الوصول إلى ما يطمحون إليه عبر جسر مستقيم من الإحراءات المقننة والخطوات المضبوطة . والحقيقة أن الوسيلة التي يرى بواسطتها المخططون المستقبل وسيلة غير دقيقة وربما تكون غير صحيحة في الإستشعار بما سيحدث .

فالتخطيـط للمستقبل في نظر شرشمان Churchman [١٩٧٩م ، ص ٢٢٩] نمط من الحس النفسي الإضافي ، حيث يقول شرشمان Churchman [١٩٧٩م] :

« إني لأعجب كيف أن بعض النفسانيين أتخذوا تصور الحس الإضافي بكل جدية رغم أنّ الحس الاضافي بعيد كل البعد عن الواقـع ... إن هـؤلاء الذين يعتقدون في الحس الإضافي ينظرون باستقامة للمستقبل » ص ٢٢٩ .

فنظـرة المخطط غالباً ما تفتقر للموضوعية لأسباب ذكـر منها فاولز Fowles [١٩٨٢ م ، ص ١٢٥] .

١ ـ أن البيئة التي تحيط بالباحث المخطط متغيرة ، فمشكلات اليوم ليست كمشكلات الغد .

٢ ـ أنّ تصور الانسان متغير من فترة الأخرى .

٣ ـ أنّ المخططين غير موضوعيين لأسباب ذكر منها :

أ ـ أن المخططين يعملون في إطار قيـم مقيدة ، لـهذا فسلوكهم لايمكن إعتباره إبداعيا بقدر ما هو رؤية مقننة .

ب ـ أن قيم المخططين هي قيم المستقبل ، وليست قيم الحاضر .

فاعتقاد البـاحثين بـأنهم بواسطـة تقنياتـهم الإحصائية واجراءاتـهم الفنية سيصلون إلى أهدافهم المستقبلية إعتقاد غير صحيح . فالطريق إلى الواقـع تحول دونه المتغيرات والظروف المستجدة وعملية التفاعل المستمرة بين عناصر الحياة عامة .

اعتماد التخطيط على الشكلية :

أنّ الشكّلية العلمية كتلك التي تحدث عنها سعيد إسماعيل على [١٩٨٨م : ص ١٥] وآلية البحث تعتبر مكملاً شكلياً للبنية البحثية ؛ فالقاريء كما يقول سعيد اسماعيل :

« يلمس حسن إستخدام آليات البحث المعروفة مثل تحديد المصطلحات والدراسات السابقة » ص ٢٥ .

ويعتبر سيد عثمان سيطرة آليات البحث من مؤشرات الأزمة في البحوث التربوية حيث يقول : [داود ١٩٨٧م ، ص ٢٠] .

« وبالنسبة لأزمة الآليات ... فهي سيادة الآليات وهيمنتها بل جبروتها على كافة جوانب البحث التربوي في أزمة تسيّد النمطية وطغيان التكرارية وعربدة الشكلية » .

ويمكن أن يعزي طغيان الشكّلية في البحوث التربوية إلى هيمنة النموذج العقلاني المجرد من الحس ولمسات الحواس وإلى هذا يشير داود ح ١٩٨٧م ، ص ٢١] بقوله :

« ويعزي هذا التسيد للآلية إلى خواء المحتوى وخور الثقة وخمود الهمة وكلها اعراض لغياب الفلسفة التربوية » .

وبديهي أن من يعمل في إطار النموذج العقلي لاينظر إلى الواقع التربوي من جانب القيم ، فهو لايصل إلى تصوره بدافع القيم وإنّما يصل إلى قيمه بدافع التصور وهذا مما قد يزيد الفجوة بين البحث التربوي والواقع التربوي وعن ذلك يقول شرشمان Churchman [١٩٧٩م ، ص ٢٢٩] .

« إنّ عالم الإدارة عندما يتحمس لنموذجه الذي يمثل كل أهداف الباحث ـ سينسى أشياء كثيرة منها القيم الإنسانية الأساسية » .

وتصميم البحوث لكي تتلاءم مع المناهج الإحصائية يعتبر عاملاً ـ وعاملاً رئيسياً ـ في الإفراط في الشكلية في البحوث التربوية .

وفي عالمنا العربي أصبحت آلية البحث تقود البحوث كما أصبحت البحوث تصمم لتتمشى مع الآلية البحثية . وقد بلغ الأمر حد التّشابه غير المعقول وغير المقبول بين البحوث التربوية . فجميعها تخضع لنمط محدد من تحديد للمشكلة ودراسة للفروق وإستخدام لتقنية إحصائية واحدة علماً بأن الواجب هو :ـ

١ ـ أن تقود الفكرة البحثية المنهج والإجراءات وليس العكس .

٢ ـ أن تحدد الظواهر والمدروسة التقنيات الإحصائية وليس العكس .

سلبيات دراسة المشكلات :

إذا كان إستخدام النموذج العقلاني يشل القدرة على الأصالة في التفكير كما أشار إلى ذلك بيترز Peters ووترمان Waterman [١٩٨٤م ، ص ٤٥] فدراسة وبحث المشكلات في التخطيط التربوي في إطـار النموذج العقلاني يقود إلى سلبيـة التصور وإلـى ذلك أشـار بيترز Peters وواترمـان Waterman [١٩٨٤م] بقوله : « أن البناء على المشكلات يقود إلى السلبية في التصور والبناء على الأخطاء التقليدية » .

فالحلول التي يطرحها كثير من الباحثين التربويين والمخططين تعتمد على تصورهم عن المشكلات التي يواجهها المجتمع . وعلى العموم فقد توصل وايز Wise [١٩٧٧م : ص ٩٦] إلـــى أنّ تحسين وضع التعليم عن طريق حل المشكلات لم ينجح والسبب هو أنّ حل مشكلات التدريس وحل مشكلات البرامج وحل مشكلات الطلاب حل سطحي فكثير من تلك المشكلات متأصلة في طبيعة المجتمع الذي يحتاج هو نفسه إلى حلول لمشكلاته .

ففي عالمنا العربي يمكن القول بأنّ كثيراً من البحوث التربوية لم تغوص في أعماق الواقع الذي يعاني من تأصّل بعض الأيديولوجيات والفلسفات ، والعادات في نفوس المجتمع مثل الماركسية والوضعية والرسمالية [داود ١٩٨٧م ، ص ١٧] وانّما اكتفى بالوقوف على بعض نتائج هذه الفلسفات في المدارس وقفة تتسم بالسطحية ، كبحث مشكلات التدريس ، ومشكلات المنهج ، ومشكلات الطالب .

إن ما قدمه الفكر التربوي في هذا المجال لم يغير من الوضع شيئاً لأنّ حقيقة المشكلات التعليمية مغروسة في بعض سلوكيات المجتمع وثقافته . وإذا عدنا إلى ما سبق وأن أشرنا إليه من أنّ البحوث التربوية في العالم العربي تقوم على أساس تصور الغرب لمشكلاته ، فإنّنا يمكننا أن نستنتج أنّ الفكر في التخطيط التربوي العربي يعمل في فراغ وبعيد كل البعد عن جميع المشكلات التربوية سواء كانت تعليمية المصدر أو اجتماعية المنشأ . فمحمد سكران [١٩٨٨ م ، ص ٤٢] يرى أنّ البحوث التربوية تتنافى مع طبيعة المشكلة التربوية في مجالها الحيوي وواقعها العلمي .

والإعتماد على بحث المشكلات التربوية ـ إضافة إلى ما فيه من قصور في الواقعية ـ يعتبر منهجا له مخاطره الأيديولوجية . فكثير من الآيدلوجيين الذي لايجرأون على غرس آيدلوجياتهم بصراحة يأتون من جانب المشكلات وطرحها ، ويعرضون حلولهم الايديولوجية على أنّها حلول المشكلات . وهذا الأسلوب يعتبر أسلوباً غير اخلاقي ويتنافى مع اخلاقيات البحث العلمي وقد تحدثت فاطمة محمد السيد علي [١٩٨٨م ، ص ١٣٥] عن ما أسمته بأزمة الاخلاق في البحث التربوي فقالت :

« والحق أن الأزمة الأخلاقية في البحث العلمي كما في أي ناحية أخرى من نواحي الحياة هي إمتداد لأزمة الاخلاق العامة » .

وقد ذكرت فاطمة محمد السيد علي [١٩٨٨م ، ص ١٣٦] أنّ من أبرز مظاهر الأزمة الاخلاقية في البحوث :

١ ـ التهاون . ٢ ـ التمويه . ٣ ـ المنفعة الخاصة .

والتهاون يمكن تلخيصه في البدء من قضية بسيطة والإنتهاء بقضية أكثر سطحية ، أما التمويه فغالباً ما ينتج عن الشكلية الخادعة في البحوث ويسيطر عامل المنفعة الخاصة على البحوث عندما يكون الباحث يعمل لتحقيق هدف خاص أو أيديولوجية خاصة ـ ربما تكون غير مرئية للمجتمع .

ويمكن عزو الأزمة الأخلاقية في إطار النموذج العقلاني إلى طبيعة النموذج العقلاني فقد ذكر بيترز Peters وترمان Waterman [١٩٨٤م ، ص ٤٥] إلى أن النموذج العقلي عبارة عن فلسفة بدون إحساس أو فلسفة نابعة من جوهر العقل .

فالبحوث التي تركز على السلبيات غالياً ما تكون منطلقة من تصورات سلبية أو تشاؤمية . ومن يعمل مسحاً للبحوث التربوية في العالم العربي يدرك أن أكثرها تدور حول مشكلات ـ ربما تكون تخيلّية . والإنطلاق من بحث المشكلات في رسم الخطط هو أول حلقات التصور الدرامي وأول خطوة في رسم الخطط هو أول حلقات التصور الدرامي وأول خطوة في رسم خارطة المستقبل من نفايات الحاضر .

أن بحث المشكلات أو مسببات المشكلات ليس مرفوضاً على الإطلاق ، ولكن ما يرفض منه هو أثره على نفسية المجتمع ، وغزوه لعقلية المجتمع من خلال إبراز مشكلاته . فالإفراط في تصوير المشكلات ـ حتى وان كانت شكليات يعني تأكيد التخلف ، وإتاحة الفرصة لخيارين احلاهما مر .

دراميـة التخطيط :

قد يلجأ المخططون التربويون بدافع الإثارة إلى تصوير الظواهر التربوية للقراء والقائمين على التربية تصويراً مثيراً يعتمدون فيه على لغة المجاز كما قد يلجأ المخططون التربويون إلى الإعتماد على عينات صغيرة في دراساتهم للوصول لتعميمات معينة حول الممارسات التربوية وقد يلجأ بعض المخططين إلى تأكيد قوة العلاقة بين السبب والنتيجة والهدف والوسيلة في مجال التربية .

ولكن ما يفاجأ به معظم المخططين هو أنّ ما يزعمونه من أسباب لفشل التعليم في تحقيق أهدافه وما يقدمونه من وسائل لتحقيق الأهداف التعليمية لايفسر من الواقع التعليمي إلا الشيء القليل .

ويعتقد بعض الدّارسين للتربية أنّ الإنطباعية والوهمية والرمزية من الخصائص التي تتميز بها آراء المخططين [بالدرج BALDRIDGE ، ١٩٨٣] . ويرى فريق آخر من الدارسين أنّ اللغة التي يستخدمها التربويون لغـة مجازيـة [بريدسون ، ١٩٨٥ م] . فاللغة التي تعتبر وعاء لمرئيات وملاحظات المخططين لغة مجازية تشبه كما يرى كوهن Cohen وروزنبرج Rosenberg [١٩٧٧ م] لغة المذيع . فاللّغة فالظواهر التي يلاحظها المخططون تعرض عرضاً فنياً حتى أصبح بعض القراء يعتقد أنّ ما يقرأه عن الواقع التعليمي عبارة عن مسرحيات تجمع بين الدرامية والتراجيدية . فقيم التعليم وأهدافه تعرض وتطرح في صورة إنطباعية مفرطة في الخيال وتعرض مشكلات التعليم في إنطباعات مأسوية مفرطة في الخيال أيضاً . ومع زيادة التـأكيد من قبل المخططين تصبح التوقعات معتقدات [كوهن Cohen وروزنبرج Rosenberg ، ١٩٧٧م] وقد تتحول الطموحات في بعض الأحيان إلى معتقـدات وتصبح الإعتقادات الوهمية أدلة على الظواهر [كوهن Cohen وروزنبرج Rosenberg ١٩٧٧م] .

فما تؤكده الحقائق هو أنّ أحاسيس وانطباعات المخططين هي كل ما تحتويه عقولنا عن التعليم . تلك الأحاسيسية والإنطباعات والتصورات كانت من نتائج ربط المخطط بين توقعاته المثالية وانطباعاته من الواقع .

وقد أنعكس الجمع بين المثالية والواقعية على حقيقة الصورة المنقولة عن التعليم.

ويرى أركسن Erickson [١٩٧٦م] أنّ الباحثين في التربية ، رغم اعتقادهم بضعف العلاقة بين الأسباب والنتائج إلا أنهم يحاولون ربط بعض الظواهر التربوية بمسببات بعيدة جداً عن الواقع كربطهم بين دخل الأسرة أو تعليم الأم وتحصيل الطالب .

وفي العالم العربي لايمكن حصر الدراسات التي سارت في مجرة التصور الغربي فربط أصحابها بين متغيرات واهية مثل الربط بين التحصيل الدراسي للطالب من ناحية ودخل الأسرة ومبنى المدرسة من ناحية أخرى .

عدم قابلية تصور الباحثين والمخططين للتنفيذ

لقد لاحظ المهتمون بالبحث التربوي أنّ كثيراً من أفكار الباحثين التربويين كمخططين لاتنفذ وقد طرح الباحثون عدة تصورات حول أسباب عدم قابلية أفكار المخططين والباحثين للتنقيذ . فمن أبرز الفرضيات التي لم تختبر بعد حول عدم قابلية أفكار الباحث والمخطط للتنفيذ .

١ ـ أنّ المنفذين لا يفهمون لغـة المخططـين لاغراقهـا في التحليل والتخيّل [أوشيه Oshea ١٩٧٩م ، ص ١٢٠] .

٢ ـ أنّ ما تعلمناه عن طبيعة العقل المخطـط والعـقل الإداري أنهمـا نقيضان [منتزبرج Mintzberg ، ١٩٧٧م] . فالمنفذ أو الشخص الذي يمارس العملية التعليمية كمدير المدرسة والمدرس تتميز ممارسته للعملية التعليمية بأنها ردود أفعال أما المخطط فعادة ما يسبق الأحداث .

فالإختلاف في التصور بين المخططين التربويين والقائمين على العملية التعليمية هي ما عبّر عنه [فليه والخميسي ، ١٩٨٨م ، ص ٢٩] بأزمة الأنفصال بين فئات المتخصصين في رؤية الواقع التربوي والتعليمي .

والذين يمارسون التعليم كما يتصور وايز Wise [١٩٧٧ م ، ص ١٠٨] لايؤمنون بإستخدام النموذج العقلي في التخطيط ولايوافقون أيضاً على كثير من افتراضاته .

فالفجوة الناتجة عن إختلاف نمط التفكير ولغة الخطاب بين المخطط والباحث التربوي من ناحية وبين المنفذين كمديري المدارس والمدرسين هي أساس عدم قابلية تصور الباحثين والمخططين وما يطرحه المخططون من أفكار للتنفيذ . فالمدرسون كما ذكر ذلك وايز Wise (١٩٧٩) لا ينفذون من أفكار المخططين إلاّ القليل .

ديناميكية الظواهر وميكانيكية التصور عند المخططين

أنّ التصور السّائد في جل البحوث التربوية هو أنّ هنالك علاقة بين عناصر ومتغيرات محددة يمثل كل متغير فيها وحدة مستقلة كقطعة المكنة التي تؤثر كل قطعة من قطعها على بقيةالقطع ولكن دون أن يكون هناك تفاعل . وهذا التصور يصفه علماء الادارة بالتصور الميكانيكي [هانسن Manson ، ١٩٧٩] .

والواقع هو أنّ معظم الظواهر التربوية المدروسة لايمكن القول بأنها ظواهر مستقرة ، فالعلاقة بين المتغيرات في أي ظاهرة تدرس علاقة ديناميكية حية تفاعلية والمدرسة بما تحويه من متغيرات وما يحيط بها من ظروف تعتبر ظاهرة دينمايكية حية تفاعلية وعن ذلك يقول روبمرج [بوبكوتز ١٩٨١م] .

« إنّ المدارس نظم ديناميكية ، فالتفاعل بين المدرسين والطلاب والأفكار في تغير مستمر ... فالمدرسة تتألف من عدة عناصر كالطالب والمدرس والمدير والمنهج والمبنى ، وتتأثر باحداث ديناميكية التفاعل والتغير » .

وقياساً على قول رومبرج فإنّ الإهتمام من قبل الطالب بالدّرس ، وإستعداداته لإستيعابه وأداء الدّرس والظروف المحيطة بكل ذلك متغيرة مما يتطلب الإعتقاد بأنّ العلاقة بين المتغيرات في تغير مستمر هي الآخرى .

والإقتناع بأنّ العلاقة بين عناصر الظواهر التربوية علاقة ميكانيكية المتغيرات أو الجزئيات يعتبر مضيعة للوقت وقد يقود إلى إستنتاجات وتعميمات خاطئة والعمل بها يعني الوقوع في الخطأ ويقول رومبرج Romberg [بوبكرتز ١٩٨١م] عن تصور الظواهر التربوية على أنها ثابتة المتغيرات .

« إنّ الوصف الجامد الذي لا يؤمن بالديناميكية للتجهيزات والجدول والأهداف والمدرسين وأثرها على التعليم لا يعطي صورة كاملة وصحيحة عن طبيعة العمل » .

فتصور المتغيرات على أنّها ثابتة الأثر كما يتصور بعض الباحثين والمخططين التربويين دفع بكثير من الباحثين إلى الإعتماد على مناهج الإحصاء مثل تحليل التباين والإنحدار وتحليل التمايز . والمناهج السالفة الذكر كانت ذات نتائج سلبية على التخطيط للتعليم كما يرى ذلك وايز Wise [١٩٧٩م] وإستخدام المناهج الرياضية التي تأخذ في الإعتبار بمبدأ ديناميكية الظواهر نادر جداً وأندر من ذلك استخدام مناهج الدراسات الأثنوغرافية وغياب الإعتقاد بديناميكية الظواهر والمتغيرات والعلاقة بين الأسباب والنتائج . وهذا يعتبر من الأخطاء التي أدت إلى فشل تصورات المخططين التربويين .

نحو تصور جديد للظواهر التربوية :

إذا كان العرف الذي جرى عليه كثير من الفكرين هو البحث عن الحلول في دائرة المشكلات ، فإن هذا المنهج سبق وأن أشرنا إلى أنّه قد أثبت فشله .

والحل الايجابي لتلافي صناعة الحلول من المشكلات هو التأكيد على الإيجابيات والمثاليات في التعليم ، وممارساتها وتعزيز هذه الإيجابيات .

والحل الأمثل للخروج من المشكلات هو كما يرى هوبر Huber [١٩٨٢م ، ص ٨٢] أن يضع الإنسان لنفسه نهايات وغايات سامية تستحق أن يعمل من أجلها فربط الواقع بآمال إيجابية يعتبر حلاً نفسياً وتقنيا في نفس الوقت . فهو من ناحية يفتح نافذة الأمل نحو الأفضل ، وهذا الأمل ستتحدد على ضوئه وسائل التحقيق الممكنة . فهوبر Huber [١٩٨٢م ، ص ١٨٢] يـــرى أنّ تحديد أهداف سامية أهم من وصف الواقع دون وضع حلول له .

فالمستقبل الإيجابي لكي يكون مستقلاً مخططاً له لا مستقبلاً نما من الحاضر [هوبر Huber ١٩٧٨م ، ص ١٨٢] بما فيه من مشكلات ينبغي أن يخطط له بتحديد أهداف بعيدة المدى والعمل على تحقيق هذه الأهداف .

فالتصور المستقبلي يوسع نطاق التخيل لدى المخططين فيخرجهم من عتمة مشكلات الواقع ويساعدهم على الخروج بالمستقبل من تربة الحاضر ، ولايمكن للمخطط والباحث التربوي أن يكون ذا مخيلة واسعة اذا كان حبيس الشكلية العلمية والتي تنتج عادة عن إستخدام النماذج العقلية الإحصائية بطريقة سطحية . فسعة التصور وإيجابياته تتطلب الخروج من الأطر الشكلية الفنية التي كثيراً ما تستخدم في البحوث التربوية .

وتتطلب الإتجاهات السابقة الخروج عن النموذج العقلي والذي يقوم على أساس أنّ المشكلات هـي أطـر الإستراتيجيات [السن Allison ١٩٧١م ، ص ٣٣] كما تتطلب الإتجاهات السابقة زيادة الإعتماد على العقل الحدسي ، والذي يتميز عن العقل التخّيلي بقدرته على التّصور الكلي لأبعاد القضايا التربوية في الماضي والحاضر والمستقبل . ومن أجل ربط التصورات بالواقع

وإستنباط تعاريف الظواهر التربوية من الواقع فإنّ البحوث التربوية يجب أن تزيد من اهتمامها بمناهج البحث الأنتوغرافية . فالبحوث الاثنرغرافية كما يرى هال Hall ولوكس Lucks [١٩٨٢م ، ص ١٥٣] تتيح للباحث الوصف التفصيلي للواقع كما يمارس وكما تتفاعل فيه عوامل التأثير والتأثر .

ويعتبر منهج السيناريو والمنهج الإثنوغرافي ومنهج السيناريو والتاريخ من المناهج البحثية التي تصلح للتخطيط . حيث يقوم الباحث بدراسة سيناريو ما حدث في الماضي وما هو حادث في الحاضر في إطار تصوري شامل .

ولكي يخول للباحث الوقوف على أثر العوامل المباشرة ، وغير المباشرة على ما يجري داخل المدارس وكيف أنّ عملية التأثير والتأثر بين هذه العوامل تختلف من فترة إلى فترة ومن حال إلى حال ، يجب الإعتقاد بأنّ العلاقة بين المؤثرات على العملية التعليمية علاقة ديناميكية وتفاعلية مستمرة وعلى الباحث التربوي أن يجمع في دراسة الظواهر التربوية بين مناهج البحث النوعية التي تهتم بالتعرف على الظواهر المشاهدة ـ ومناهج البحث الكمية التي تهتم بدراسة إتجاهات التأثر والتأثير المتقاطعة .

فالإتجاه السابق في البحوث التربوية يعطي للباحث فرصة الوقوف المباشر على ما يحدث في المدارس كما يعطي له فرصة دراسة التّفاعل بين العوامل الإجتماعية ، والعوامل التعليمية ، وديناميكية التّغير خلال مدة طويلة من الزمن يتهيأ للباحث خلالها التعرف على ما يحدث وتعريفه ووضع فرضيات وإختبار هذه الفرضيات وتعديلها تبعاً لما يحدث حتى يتمكن الباحث من الإستقرار على تصورات شبه ثابتة عن ما يحدث داخل المدارس .

فملاحظة الممارسات التربوية الفعلية ومشاهدة ما يحدث لفترة من الزمن يعتبر البديل الأفضل لصياغة الخطط التربوية [برهان ، ١٩٨٢م] وإذا كان

لكل حدث يحدث في الماضي البعيد أو الماضي القريب أثر على الممارسات التربوية فعلى الباحثين التربويين ـ ما أمكنهم ـ البحث عن جذور الأحداث الماضيـة أو الأحداث التي مازالت تؤثر على الممارسات التربوية ومدى تفاعل هذه الأحداث مع متغيرات الواقع وما هو التأثير المستقبلي لهذه الأحداث وما درجته .

وإذا كان الباحث والمخطط التربوي يعرف أنّ عالم المدرسة الصغيرة يعمل في داخل نظام اجتماعي ونظام عالمي غير محصور فإنّه يجب عليه أن يتجاوز بتصوره تلك الحدود الواهية التي تعوّد الباحثون رسمها داخل سور المدرسة ، أو داخل الخليّة الإجتماعية إلى عالم أوسع . فكثير من الأحداث وإن كانت تبدو غير ذات علاقة بما يحدث في المدارس تؤثر على التعليم بطريقة أو بأخرى حتى تلك الأحداث التي تحدث في أمريكا أو روسيا أو في الصين لها أثر على العملية التعليمية في العالم العربي .

ولو لم يكن هناك علاقة بين ما يحدث بامريكا والصين واليابان والعالم العربي لما وجدنا أن هناك اتجاهات متشابهة في الممارسات التربوية .

وما هو مطلوب من الباحثين التربويين والمخططين على حد سواء هو النظر النظرة الشاملة والكلية للواقع الخاص والواقع العام وإستقراء آثار هذا الواقع ـ عن طريق التفكير الحدسي ـ على الممارسات التربوية .

نتائج و مقترحات :

لقد كان الهدف من هذه الدراسة توضيح أسباب عدم صلاحية بعض البحوث التربويـة المفرطة في إستخدام آلية البحث وعقلنة الرؤية للتخطيط التربوي . وقد ظهر من خلال إستعراض بعض البحوث والدراسات ذات العلاقة بالموضوع السابق أنّ هنالك عدة أسباب تحول دون صلاحية البحوث التربوية للتخطيط للتعليم من أهمها :

١ ـ البعد بين المخطط والباحث التربوي والواقع التربوي .

٢ ـ طغيان الآلية والشكلية البحثية على البحوث التربوية .

٣ ـ محدودية نظرة الباحث والمخطط التربوي .

٤ ـ اعتماد الباحث والمخطط التربوي على أساليب درامية لإبراز الأسباب والنتائج المتعلقة بزي قضية تعلمّية .

٥ ـ غلبة التصور الميكانيكي على رؤية الباحث والمخطط التربوي .

ولكي يكون هنالك فرصة لردم الفجوة بين المخططين والمنفذين في مجال التربية ، فلابد أن تنبع الخطط والبحوث من الواقع وذلك عن طريق إستخدام أساليب بحث قادرة على نقل صورة صادقة عن الواقع مثل أساليب الملاحظة الطويلة واساليب الدراسات التاريخية ـ فالمنهجان السابقان يعطياننا صورة كاملة وشاملة عن الواقع الماضي والواقع الحاضر .

ومن أجل الحد من سلبيات تحكم الآليات البحثية وتقنيات البحوث في الدراسة التربوية ينبغي للباحثين والمخططين التربويين أن ينظروا للواقع من خلال ثقافة المجتمع وقيمة وجذور سلوكه وأن يدرس الواقع في إطار التصور الديني السليم والتجربة الأنسانية الواعية .

وما سبق لايعني هجر الأساليب البحثية الحالية وتقنيات البحث المعاصر وإنما يعني إستخدام الأسلوب والمنهج البحثي المناسب في الوقت المناسب وذلك لكي لاتصبح البحوث والدراسات :

أ ـ نماذج محاكاة .

ب ـ خرائط تصور وهمي .

والله الموفق والهادي إل طريق الصواب .

المراجع العربيـة

١ ـ داود ، عزيز حنـا « أزمة البحث التربوي في مصر المعاصرة » العدد السابع ، سبتمبر ١٩٨٧ م ، ص ٢ .

٢ ـ السكران ، محمد محمد « الفجوة بين البحث التربوي في مصر » مؤتمر البحث التربوي : الواقع والمستقبل ١٩٨٨ م ، القاهرة .

٣ ـ السيد ، فاطمة محمد « معوقات البحث التربوي في مصر » مؤتمر البحث التربوي : الواقع والمستقبل ١٩٨٨ م القاهرة .

٤ ـ عثمان ، سيد « أزمة البحث التربوي » التربية المعاصرة ، العدد الرابع ، يناير ١٩٨٦ م ، ص ٢٤ .

٥ ـ علي سعيد اسماعيل « أخطاء أصولية في دراسات غير أصولية » مؤتمر البحث التربوي : الواقع والمستقبل ١٩٨٨ م ، القاهرة .

٦ ـ فرحان ، اسحاق أحمد « أزمة التربية في الوطن العربي » دار الفرقان للنشر ١٤٠٦ هـ .

٧ ـ فنيه فاروق ، وخميس السيد « البحث التربوي وقضايا التعليم المصري في الثمانينات بين المتخصصين والمختصين » مؤتمر البحث التربوي : الواقع والمستقبل ١٩٨٨ م ، القاهرة .

المراجع الأجنبية

1 - Allison , Graham , T. " Essence of Decision : Explaining the cuban missile crisis "Little ,Brown and company , Boston , 1971.

2 - Bredeson , Paul v . " Analysis of the Metaphorical Perspective of school Principals " Eductional Administration Quarterly , Vol , 21 No , 1 (Winter 1985) .

3 - Churchman , c , West. " System appoach " Dell pub, Co Inc New York. 1979.

4 - Cohen , David and rosenberg , Bella " Function and fantasies :understanding Schools in capitalist America " Chapter in Baldridge , 1983 .

5 - Erickson , Donald , A " Research on educational adminstration: the State -of- The Art " Educational Research , 1979 .

6 - G oldberg , Philip " The Intuitive Edge : Understanding and Developing " Jenemy ? Tarcher , Inc , Losangeles 1983.

7 - Hall, G, E, O, and Lucks, Susan, F " Bridging the gap : Policy Research Rooted in practice, chapter in Lieberman a and ec lavghlin, W. Nsse, 1982.

8 - Huber, Betina. J. " Images of future " Chapter in fowles, Jib " Hand book of future Research " Green wood press, London, england, 1982.

9 - Mintzberg, Henry " Planning on The Left Side and Managing on the Rignt " Harvard Bussine Review.

10 - Oshea , David " School District Evaluation Units : Problems and Policy " Univeristy of Califarinia Los Ageles, 1983.

11 - Peters, Thomas & Waterman, Robert In Search of Excellence, Lesson From Americas Best Run companies " Warner Book New York, 1984.

12 - Romberg, Thomas " Field - Based inquiry and the devolopment of mathematical Methodology for the Schooling.Chapter in popkewits, T, S. and Tabachnick, B. R. " The study of schooling : Field based Methodologyles in Educational research and education practice, New York. 1981.

13 - Toffler, Alvin " Future Shock : The third wave " Bantam Books , Nwe York , 1980 .

14 - Wise , Arthur " Why educational Policies often faill : The hyperrationalization hypothesis " Chapter in " The dynamics of organizational change in education " By baldridge , jictor . Me cutchan , Pup , Co . Berkeley , California , 1983 .